غربه . وأسلوب اسرائيل في تنفيذ مخططاتها التوسعية ، عن طريق الضم الزاحف ، أصبحت معروفة جيدا . والأساس في ذلك الاسلوب هو الانطلاق من مبدأ ان الارض عنصر ثابت ، بينما السكان عليها هم العنصر المتغير ، وتغيره يعتمد أصلا على ديناميكية الاوضاع السياسية . فالمهم اذن هو التحكم في الوضع السياسي بالمنطقة لخلق الديناميكية المناسبة لتنفيذ عملية الضم عند الحاجة . ومن هنا ، فلا بأس ان يبقى السكان العرب على قسم من الارض في فلسطين ، ما دام وضعهم السياسي لا يحول دون « نقلهم » ، بطريقة أو بأخرى ، الى مكان آخر . والكيان السياسي المستقل هو احد أهم العوائق لذلك .

لقد كان أمل اسرائيل الاكبر ، بعد عام ١٩٤٨ ، ان يذوب الفلسطينيون في العالم العربي ، خاصة في الاردن . وما أكثر ما صدر عن الاسرائيليين ، الرسميين وغيرهم ، من أن الفلسطينيين ليسوا أمة ، وانه لم يكن لهم قط استقلال ذاتي ، وانهم لم يبلوروا أبدا حركة قومية مستقلة ، الى غير ذلك من الحجج الواهية في محاولة لاثبات أن العمل الفلسطيني ليس الا تمويها لسياسة عربية عدوانية ، هدفها القضاء على اسرائيل .

ولكن السنوات الاخيرة من العمل الفلسطيني ، والنجاحات التي أحرزتها الثورة الفلسطينية ، أبرزت بكل وضوح ، ليس في اسرائيل فحسب ، بل في العالم أجمع ، الشخصية الفلسطينية المستقلة . ولما لم يعد بالامكان انكار الهوية الفلسطينية ، وأصبح من دواعي السخرية ادعاء زعماء اسرائيل بألا وجود للشعب الفلسطيني ، وبأن ذلك المسمى ليس الا بدعة عربية ، عمدت اسرائيل الى تحوير ما كانت تقوله عن الفلسطينيين وأخذت تطلقه على الاردن . فاذا به يصبح كيانا مصطنعا ، وانه ليس الا جزءا من فلسطين التاريخية ، وان أغلبية سكانه من الفلسطينيين ، الخ .. فعندما فشل تكتيك « أردنة » الفلسطينيين ، تحولت اسرائيل الى لعبة « فلسطنة » الاردن . والمهم ان الجوهر بقي واحدا — وهو انتماء الفلسطينيين الى شرق الاردن ، حتى لو تواجدوا مرحليا غربه .

وطبيعي ان ترى اسرائيل بقيام دولة فلسطين مستقلة غربي النهر ما يضع حدا للعبتها هذه ، وانه سيقف عقبة كأداء في طريق تنفيذ مخططها للمستقبل البعيد من « نقل » عرب فلسطين الى شرق النهر . فقيام مثل هذه الدولة سيجذر الشخصية الفلسطينية ، ويكسبها مع الوقت مقومات الانتماء الوطني ، اسوة ببقية شعوب العالم العربي ، في دولها المستقلة . وبالمقابل ، وبموازاة مثل هذه التطورات على الساحة الفلسطينية ، وربما كرد فعل عليها ، ستبرز اتجاهات مماثلة على الساحة الشرق أردنية . فلا يمضي زمن طويل قبل أن يصبح كل واحد من الشعبين ذا شخصية مستقلة تماما ، تثقل على عملية انتقال سكان الضفة الغربية العرب الى الضفة الشرقية « بصورة طبيعية » ، كما انها ستزيد من تصميم الفلسطينيين على الصمود في مواقعهم والدفاع عنها عند الحرب ، خلافا لما جرى في السابق . وهذا ما تريد اسرائيل ان تتفاداه مسبقا ، ان استطاعت الى ذلك سبيلا .

ولا شك في ان اسرائيل ، على حد قولها ، تخشى من ان يؤدي قيام دولة فلسطينية ، في الظروف الراهنة التي يعيشها الفلسطينيون في شتاتهم ، الى تجمع قسم كبير منهم في الضفة الغربية . فلا تلبث تلك الدولة ان تنفجر ، تحت ضغط الكثافة السكانية ، مرسلة شظاياها الى ما جاورها من الدول .